

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (٧)

إفسياد بني إسرائيل في الأمراض مكرتين

شرح الكلمات:

الكرّة: كَرَّ الفارسُ كَرًّا: فرَّ للجولان ثم عاد للقتال. الكرّة: المرّة؛ الحملة في الحرب (الأقرب). فالمراد من قوله تعالى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أننا أعطيناكم من جديد قوة الهجوم عليهم. **نفيرًا:** النفيرُ النَّفْرُ لما دون العشرة من الرجال؛ القومُ يَنْفِرُونَ معك ويتنافرون في القتال؛ وقيل: هم الجماعة يتقدمون في الأمر (انظر الأقرب، واللسان).

التفسير:

يقول الله تعالى إننا بعد ذلك الدمار نجيناكم من قبضة العدو، وآتيناكم القوة مرة أخرى. وقد حصل حين زحف ملك فارس وميديا على بابل، فناصره بنو إسرائيل بأمر من نبي لهم، فحرّره الملك الفارسي من أسر البابليين. (وقد سبق أن سجّلتُ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعْوَأُوا وَيُجَاهِدُوا وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا ﴿٨﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُمُ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٩﴾



(بني إسرائيل)

من تفسير: حضرة مرزا بشير الدين محمود أجمد

المصلح الموعود ﷺ

الخليفة الثاني لحضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام



تشير هذه الآية إلى فساد اليهود للمرة الثانية وإلى العقوبة التي حلت بهم حينذاك. والمراد من فسادهم هو إيذاؤهم عيسى عليه السلام، وأما العقوبة فهي ذلك الدمار الذي حل بهم على أيدي الرومان بعد حادث الصليب بسبعين سنة. مما يعني أنهم قد دمروا في حياة عيسى عليه السلام، إذ يتضح من الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام عاش ١٢٠ عامًا...

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ لِيُسْوَءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمْتُمْ بِتَنْبِيهِ﴾ (٨)

شرح الكلمات:

لِيُسْوَءُوا: ساءه يسوءه سوءًا: فعل
به ما يكرهه أو أحزنه (الأقرب).
ووجوهكم: الوجوه جمع الوجه
وهو: نفس الشيء؛ سيد القوم؛
الجاه (الأقرب).
ليتَّبِعُوا: تَبَّره أهلُكَه ودمَّره. تَبَّ كلُّ
شيءٍ كَسَّره وفتَّته. التَّبَارُ الهلاكُ
(الأقرب).

التي نحن بصدد تفسيرها.
وتفصيل هذه العودة أن الملك
الفارسي - واسمه كورش، ويسمى
بالإنجليزية (Cyrus) - بعد أن قام
بغزو بابل سمح لليهود عام ٤٤٥ ق م
بالعودة من منفاهم إلى
القدس جزاءً على مساعدتهم له
ضد الملك البابلي. وليس هذا
فحسب، بل أرسل معهم نبيهم
نحميا لتعمير القدس وغيرها من
الأماكن المقدسة اليهودية من
جديد. كما أعطاهم ممتلكاتهم التي
سلبها وأخذها نبوخذنصر البابلي
معه حين غزا القدس. (عزرا ١:
٨-١)

وعزرا هذا هو نفس النبي الذي
ذكره القرآن باسم عزير، والذي
قال عنه اليهود ﴿عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾.

هذا الحادث مفصلاً في تفسير
سورة البقرة لدى ذكر سليمان
عليه السلام وهاروت وماروت).

وقد سبق أن نبأ موسى عليه السلام عن
غلبة اليهود مرة أخرى بالكلمات
التالية:

«ومتى أتت عليك كلُّ هذه
الأمور.. البركة واللعة اللتان
جعلتهما قدامك.. فإن رددت في
قلبك بين جميع الأمم الذين طردك
الربُّ إلهك إليهم، ورجعت إلى
الربِّ إلهك، وسمعت لصوته حسب
كل ما أنا أوصيك به اليوم.. أنت
وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك..
يردُّ الربُّ إلهك سبيك ويرحمك،
ويعود فيجمعك من جميع الشعوب
الذين بددك إليهم الربُّ إلهك.
إن يكن قد بددك إلى أقصاء
السموات فمن هناك يجمعك
الربُّ إلهك، ومن هناك يأخذك
ويأتي بك الربُّ إلهك إلى الأرض
التي امتلكها آباؤك فتمتلكها،
ويحسن إليك، ويكثرُ أكثرَ من
آبائك.» (تثنية ٣٠: ١-٥)

يتضح من ذلك أن موسى عليه السلام
قد نبأ بعودة الأمور ثانية إلى مجراها
بعد الدمار الأول لبني إسرائيل،
كما تؤكد ذلك هذه الآية القرآنية



التفسير:

تشير هذه الآية إلى فساد اليهود للمرة الثانية وإلى العقوبة التي حلت بهم حينذاك. والمراد من فسادهم هو إيذاؤهم عيسى عليه السلام، وأما العقوبة فهي ذلك الدمار الذي حل بهم على أيدي الرومان بعد حادث الصليب بسبعين سنة. مما يعني أنهم قد دُمروا في حياة عيسى عليه السلام، إذ يتضح من الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام عاش ١٢٠ عاماً،^(١) وأما حادث الصليب فوق حين كان في الـ ٣٣ من عمره. (A) New Testament Commentary, P. 62-64

وتفصيل هذا الخراب أن الملك الرومي بعث أحد قواده «فسباسين» (Vespasian) لقمع اليهود عقاباً على تمردهم. وبينما «فسباسين» منهمك في عملياته القمعية رأى رؤيا قرّر بناءً على ما فهم منها العودة إلى روما، لأن الأخبار القادمة من هنالك لا تبشر بالخير، وإنما تنذر باندلاع الفتن. ولدى عودته إلى الوطن حصلت أمور دفعت الناس ليختاروه ملكاً. فعين ابنه «تيطس» (Titus) أميراً على الجيش الذي خرج لغزو

فلسطين. فقام «تيطس» بغزو القدس في ٧٠م، وأمر بدمها. فهدمت أسوار المدينة ودُمّر معبدها، وتم القضاء على الحكومة اليهودية المتمردة. غير أن اليهود قاموا بثورة فاشلة أخرى في ١٣٥م لم تكن إلا بمثابة اضطراب الشعلة الأخيرة في الشمعة قبيل الفجر. (الموسوعة البريطانية: كلمة Jews، وتاريخ المؤرخين للعالم).

وكانت التوراة قد تنبأت عن هذا الخراب الثاني بالكلمات التالية: «أغاروه بالأجانب وأغاضوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان ليست لله.. لآلهة لم يعرفوها، أحداث قد جاءت من قريب لم يرهبها أبواؤكم. الصخر الذي ولدك تركته، ونسيت الله الذي أبدأك. فرأى الرب وردل من الغيظ بنيه وبناته، وقال: أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلب.. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً.. بأمة غيبية أغيظهم. إنه قد اشتعلت نارٌ بغضبي، فتتقد إلى الهاوية السفلى، وتأكل الأرض وغلثها، وتُحرق أسس الجبال. أجمع عليهم شروراً،

وأنفذ سهامي فيهم، إذ هم خاؤون من جوع ومنهكون من حمى وداءٍ سام. أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض. من خارج السيف يُثكل، ومن داخل الحدور الرعبة.. الفتى مع الفتاة، والرضيع مع الأشيب.» (تثنية ٣٢: ١٦ - ٢٥)

لقد ورد هذا النبأ في التوراة بعد النبأ عن الفساد اليهودي الأول، بل بعد الوعد الذي قطع الله تعالى معهم بأنه سيأتي بهم إلى القدس بعد الفساد الأول، مما يدل على أنه نبأ عن عذاب ثان غير العذاب الأول، وقد أشار القرآن إليه في قوله تعالى ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (٩)

شرح الكلمات:

حصيراً: الحصير: السجن (الأقرب).

التفسير:

بعد أن أخبر القرآن الكريم اليهود



ما زالت أمامكم فرصة للازدهار خارج الشريعة الموسوية، حيث أفسح الله لكم مجال الرقي والازدهار مرة أخرى وذلك إذا عملتم بشرع الإسلام. فانتبهوا هذه الفرصة الذهبية، لتراثوا أفضل الله ثانيةً. أما إذا لم تغتنموها فسوف تحيط بكم العقوبات الإلهية من جديد، وستدمرون نهائياً.

موته، فقال: جاء الربُّ من سيناء، وأشرق لهم من سَعِيرٍ، وتلاًلاً من جبل فاران،^(٢) وأتى مع عشرة آلاف قُدّوسي، وعن يمينه نارٌ شريعة لهم. فأحبَّ الشعبَ. جميعُ قَدَيْسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك.. يتقبلون من أقوالك» (تثنية ٣٣: ١-٣). أي بواسطة النبي الذي يظهر من جبال فاران سيهيئ الله لليهود أسباب البركة من جديد. فإن شاءوا ازدهروا مرة أخرى بقبول ما جاء به من الهدى. علماً أن هذه النبوءة وردت في التوراة بعد نبأ الدمار اليهودي مباشرةً وفي الباب التالي. ولنتذكر أن هذه الآيات كما تحذر اليهود أن مستقبلهم مظلم وفقاً لأنباء كتبهم، فإنها تحذر المسلمين كذلك أنه سيحلّ بهم أيضاً العذاب مرتين لسوء أعمالهم كما حصل باليهود. وقد حل أول هذين العذابين بالمسلمين حين تم القضاء على خلافة العباسيين. وكان سبب ذلك الدمار الأول

ما أروع الأسلوب الذي اختاره الله تعالى لنصح اليهود. فقد ذكّرهم أولاً بما ورد في كتبهم من أنباء عن هلاكهم.... فالخير في أن لا يتلمّسوا الأعذار للتخلي عن الطريق المهجور الذي قد أمر الله تعالى بتركه، وإنما ينبغي لهم أن يقبلوا الإسلام، ليرثوا البركات الروحانية والمادية تارة أخرى.

عما سيحلّ بهم من دمار يُريهم الآن بارقة أمل، حيث يقول لهم: بالنسبة للتوراة فقد شملكم الدمار الأبدي، ولكن ما زالت أمامكم فرصة للازدهار خارج الشريعة الموسوية، حيث أفسح الله لكم مجال الرقي والازدهار مرة أخرى وذلك إذا عملتم بشرع الإسلام.

فانتبهوا هذه الفرصة الذهبية، لتراثوا أفضل الله ثانيةً. أما إذا لم تغتنموها فسوف تحيط بكم العقوبات الإلهية من جديد، وستدمرون نهائياً.

ما أروع الأسلوب الذي اختاره الله تعالى لنصح اليهود. فقد ذكّرهم أولاً بما ورد في كتبهم من أنباء عن هلاكهم، مبيناً لهم أن كتبهم نفسها تؤكد أن لا مستقبل لهم الآن؛ وما دامت كتبهم نفسها تقضي بهلاكهم، فالخير في أن لا يتلمّسوا الأعذار للتخلي عن الطريق المهجور الذي قد أمر الله تعالى بتركه، وإنما ينبغي لهم أن يقبلوا الإسلام، ليرثوا البركات الروحانية والمادية تارة أخرى.

وهناك نبأ في التوراة أيضاً عن هذا الطريق الجديد حيث تقول: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل

ريكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً - والعياذ بالله.

(١) انظرُ كنز العمال، فضائل أهل البيت، فصل في فضلهم، فاطمة رضي الله عنها، رقم الحديث (٣٧٧٣٢)

(٢) علماً أن فاران هي جبال مكة، التي جاء النبي ﷺ لفتحها بعشرة آلاف قدوسي من صحابته. ولقد حرقوا الآن الكلمات التي تحتها الخط في بعض الطبقات الحديثة خاصة العربية منها، ولكنها لا تزال كما هي في بعض الطبقات القديمة باللغتين الأردنية والإنجليزية. انظرُ صورة لها في آخر هذا الكتاب. (المترجم)

(٣) بعد تسجيل هذه الملاحظة علمتُ أن بعض فروع العائلة الملكية العباسية تقيم في ولاية «أتر بَرْدِيش» الهندية أيضاً، فبعضهم أرسلوا إلي شجرة نسبهم أيضاً. (المفسر)

المجزرة، التي نُفِذت في بغداد وضواحيها، أرواح مليون وثمانمائة ألف (١٨٠٠٠٠٠) مسلم. لقد أعد هؤلاء الغزاة قوائم تضم أسماء أفراد الأسرة الملكية العباسية كلهم، وبحثوا عن كل فرد منها وقتلوه (الخلافة العباسية لعبد الفتاح السرنجاوي ص ٢٩٦ - ٢٩٧). ويقال إنه لم ينج من الأسرة الملكية إلا شخص واحد، ومن نسله كان حكام ولاية بهاولبور الهندية. ولا يوجد اليوم سواهم عائلة واحدة تنتسب إلى العباسيين. (٣)

والدمار الآخر للمسلمين كان مقدراً في الزمن الأخير، وقد بدأت آثاره تلوح في الأفق الآن. عسى

هو نفس السبب الذي كان وراء الدمار اليهودي بحسب التوراة، وهو أن المسلمين عندما فتحوا فرغانة تزوجوا بفتياتها الجميلات بكثرة، وكان أهل هذه المنطقة مشركين جداً، فأخذت العقائد الوثنية تتسرب إلى المسلمين عبر هؤلاء النسوة، وأخذت غيرتهم الإسلامية في الضعف شيئاً فشيئاً، إلى أن زحف على بغداد شعب همجي. والغريب أن هؤلاء القوم كانوا، بسبب همجيتهم وأجنيبتهم، غرباء بالنسبة للبلاد والحضارة الإسلامية مثلما كان البابليون أجانب بالنسبة لأهل فلسطين. وقد أزهقت في هذه

ولنتذكر أن هذه الآيات كما تخبر اليهود أن مستقبلهم مظلم وفقاً لأنباء كتبهم، فإنها تحذر المسلمين كذلك أنه سيحلّ بهم أيضاً العذاب مرتين لسوء أعمالهم كما حصل باليهود. وقد حل أول هذين العذابين بالمسلمين حين تم القضاء على خلافة العباسيين. وكان سبب ذلك الدمار الأول هو نفس السبب الذي كان وراء الدمار اليهودي بحسب التوراة، وهو أن المسلمين عندما فتحوا فرغانة تزوجوا بفتياتها الجميلات بكثرة، وكان أهل هذه المنطقة مشركين جداً، فأخذت العقائد الوثنية تتسرب إلى المسلمين عبر هؤلاء النسوة، وأخذت غيرتهم الإسلامية في الضعف شيئاً فشيئاً.....